# إشكالية الأدب الأنثوي(المصطلح وتعدد المواقف)

د. أحسن مزدور
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة باجي مختار-عنابة

**ملخص**

*يهتم هذا المقال بجانبين:إشكالية المصطلح المستخدم لتحديد كتابة المرأة الكاتبة، وعرض مختلف المواقف تجاه التمييز بين الأدب الذي يكتبه الذكر والأدب الذي تكتبه الأنثى . ففي ما يخص المصطلح كشفنا عن موقفين إثنين:الأول لا يعترف أصلا بكل تمييز بين أدب المرأة وأدب الرجل، والموقف الثاني يعترف بهذا التمييز لكن الخلاف عندهم يدور حول الاختيار بين المصطلحين: الأدب النسوي والأدب الأنثوي. في الجانب الثاني ميزنا بين موقفين مختلفين:الأول اختار الأدب النسوي لوصف ما تكتبه المرأة الكاتبة، في حين رأى الثاني أن الأدب الأنثوي هو المصطلح الأكثر دقة في الوصف*

**Résumé**

*Cet article prend soin de deux aspects: La problématique du terme utilisé pour rétablir l'écriture de la femme écrivain, et présenter les différents positions envers la distinction entre ce que écrit le male, et la femelle. On ce qui concerne le terme, on a révélé sur deux positions: l'une ne reconnait pas toute distinction, l'autre le reconnait mais pour eux le conflit tourne autour le choix entre: littérature féministe et littérature féminine. De l'autre coté on a fait la distinction entre deux positions différentes; la première préfère utiliser le terme littérature féministe, tandis que la seconde constate que la littérature féminine est le terme le plus précis.*

## حول المصطلح:

المصطلح ظاهرة لغوية تتوسل به اللغات لاختزال المفاهيم والحقائق وتكثيفها في ألفاظ أو تراكيب لغوية قصيرة لتغدو إضاءات معرفية، وومضات معنوية يعتمدها الفكر إبداعا وتلقيا. و صياغة المصطلح ليس بالأمر الهين، إذ يستدعي إلماما باللغة المستعملة وتفقها فيها وإحاطة بلغات حية أخرى، كما يقتضي إلماما كافيا بماهية المفاهيم المراد اتخاذ مصطلحات بشأنها، إذ كثيرا ما تواجه المصطلحات إشكالات عديدة عند الاستعمال منها؛ افتقارها إلى الدقة العلمية واللغوية الأمر الذي يؤدي إلى اختلاط مدلولاتها فتتحول إلى مترادفات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن قضية ضبط المصطلح، وتعيين حدوده، ومجال اشتغاله الدلالي من القضايا الإشكالية البارزة في المناهج النقدية الحداثية، وهي ترتبط بتعدد التيارات والاجتهادات النقدية داخل النظرية الواحدة، وكذلك بتعدد المرجعيات التي تستند إليها هذه التيارات والمناهج، وصياغة رؤاها، ومفاهيمها، وأدواتها.

ومما يزيد في اضطراب المصطلح في الدراسات والبحوث العربية، أن الفكر العربي يعيش حالة من التبعية للفكر الغربي مثلما يعيش المجتمع العربي هذه التبعية في جميع حاجاته تقريبا؛ المأكل والملبس والمركب وهلم جرا، حيث نجد أكثر المصطلحات المستخدمة مقتلعة من بيئة وثقافة مختلفتين عن البيئة والثقافة العربيتين، وتستخدم تلك المصطلحات بعد أن تترجم دون الوعي _ في أحيان كثيرة_بحيثياتها .

يعد المصطلح في العلوم الإنسانية والاجتماعية – على خلاف من العلوم الرياضية – خلاصة تجربة وفلسفة في الحياة، كما أن دلالة المصطلح ومجال اشتغاله مرتبط بسياق ثقافي واجتماعي معين، وعليه ينبغي على مستعمل المصطلح استحضار الوعي التام في نقل المفاهيم، والدقة في ترجمة المصطلحات.

وبالعودة إلى موضوع بحثنا، شاعت في الأوساط الثقافية في السنوات القليلة الماضية أبحاث ودراسات نقدية تنظر إلى الأدب الذي تنتجه المرأة باعتباره أدبا مختلفا عن الأدب الذي ينتجه الرجل، وقد استندت تلك البحوث والدراسات في نظرتها هذه على ملاحظة وجود خصائص نوعية تميز كتابات المرأة عن كتابات الرجل.وقد صاحب هذه الظاهرة مجموعة من المصطلحات الواصفة لهذه الظاهرة، كالكتابة الأنثوية مقابل الكتابة الذكورية، والكتابة النسائية أو النسوية في مقابل الكتابة الرجالية.

نلاحظ أن مصطلح "الكتابة الأنثوية" من المصطلحات التي راجت في المدونة النقدية المعاصرة، ودخلت حقل التداول الثقافي العربي في النصف الثاني من سبعينيات القرن العشرين، ووجه بردود أفعال متعددة تتفق أحيانا وتتصادم أحيانا أخرى نتيجة اختلاف الرؤى والمرجعيات في تحديد مجاله الدلالي، كما بقي هذا المصطلح هلامي الدلالة نتيجة تداخله عند البعض مع مصطلح أخر أقدم منه ولا يقل عنه شيوعا هو مصطلح "الكتابة النسوية" أو "الكتابة النسائية".

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويبقى على عاتق النظر النقدي مهمة إضاءة هذه المصطلحات الدالة على الأدب الذي تكتبه المرأة، خاصة أن النقد قد نأى عن الخوض في التنظير لهذا الإبداع فترة زمنية طويلة، إما تزلفا للأدب الرجالي الفحولي، وإما احتقارا للمرأة واستصغارا لإبداعاتها الأدبية، وفي كلتا الحالتين ضل الذكور يمارسون وأد الأنثى بأشكال مختلفة، وترسخ في البنية الفكرية العربية الاعتقاد بدونية المرأة وسلبيتها، وأنها لا تصلح إلا أن تكون موضوعا للكتابة، ومن ثمة ليس لها حق التصرف في شؤونها ولا حق التعبير عن أفكارها وأحاسيسها، وأن للرجال فضل القيام بذلك بدلا منها.

وقبل الحديث عن التمايزات بين المصطلحات الدالة على الأدب الذي تكتبه المرأة في النقد العربي على المستويين النظري والدلالي لابد من الرجوع إلى أصولهما في الأدب الغربي، واستعراض ولو باختصار تاريخ الحركة الأدبية النسوية في الغرب وطروحاتها، نظرا للتأثير الذي مارسته على الحركة النقدية النسوية العربية، والدور الذي لعبته في صياغة مفاهيمها ومنطلقاتها وأسسها النظرية والإجرائية.

**نشأة المصطلح في النقد النسوي**

لقد صاحب ظهور الحركات النسوية الاجتماعية والثقافية والسياسية في الغرب حركة أدبية نقدية نسوية، حاولت أن تضع له الأسس النظرية، وتحدد له مجال اشتغاله الدلالي.آخذة بعين الاعتبار ما طرأ على وضع المرأة من ارتقاء تعليمي ومهني ومشاركة في الحياة العامة، غير أن هذه الحركات النسوية لاحظت أن الحريات التي افتكتها المرأة بنضالها لم تشمل تحررها على صعيد النوع le genre بحيث ظلت المرأة الكاتبة أسيرة النظام الأبوي الذي فرضه الرجل في جميع مجالات الحياة.

ولاحظ النظر النقدي النسوي مجموعة من التيمات تتكرر باستمرار في الكتابة النسوية والتي تتمركز حول أربعة أنماط من الفروق هي:البيولوجي، اللغوي، التحليل النفسي، والثقافي[1].وصار بالإمكان الحديث عن كتابة نسائية، ونقد نسائي، وإشكاليات نسائية مميزة، وانشغلت هذه الأنماط في تحديد وتمييز خصائص الكتابة النسائية، وصار بالإمكان التفاعل مع الخطاب الإبداعي النسائي من خلال الوعي النسائي والرؤية النسائية للعالم من خلال تركيزها على قضايا اجتماعية تهم المرأة كفرد اجتماعي يسعى إلى البحث عن مجال لا تكون فيه المرأة مسلوبة الإرادة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد طالبت فرجينيا Virginia Woolf وولف (إحدى رائدات الأدب النسائي) بضرورة أن تعبر المرأة الكاتبة عن كل ما لديها وما تشعر به، وأكدت على أن ما تكتبه، هو دائما نسائي، ولا يمكنه إلا أن يكون نسائيا، وفي أحسن حالاته يكون نسائيا على أكمل وجه، ولكن الصعوبة الوحيدة تكمن في تعريف ما نعنيه بكلمة نسائي[2]، فهي تسلم بأن كتابة المرأة الكاتبة تحمل بصمات هويتها النوعية، غير أنها مترددة في تعريف المصطلح الدال على هذه الكتابة المتميزة.

وينطبق الأمر نفسه على الناقدة النسوية الفرنسية هيلين سيكسوس Hélène Cixous التي تؤكد على استحالت تعريف الممارسة النسائية للكتابة، وهذه الاستحالة ستبقى لأنها ممارسة لن تنظر وتحصر وتوضح لها رموزها الخاصة، ولكن هذا لا يعني أن هذه الممارسة غير موجودة"[3].

ويتطابق موقف الناقدة النسوية الفرنسية جوليا كريستيفا Julia Kristeva مع موقف هيلين في تحديد مجال اشتغال الأدب النسوي، بأنه يشتغل على الفجوات والمسكوت عنه، واللاممثل في الخطاب الذكوري باعتباره النسوي[4].

وتذهب الناقدة النسوية البريطانية إلين شولتر Elaine Showalter المذهب نفسه، حيث تؤكد على خصوصية الكتابة النسوية، وتربط هذه الخصوصية باختلاف الحياة التي تحياها المرأة، حيث ينتج عن ذلك مضمون مختلف في أعمالها الأدبية، وأن هناك من الملامح المشتركة بين هؤلاء المؤلفات ما يكفي لرسم تقاليد أدبية نسائية واضحة ومحددة"[5].

وعلى الرغم من الضبابية التي تلف مصطلح الكتابة النسوية في المواقف السابقة إلا أن هذا الغموض تبدد في السنوات الأخيرة وبخاصة ابتداء من أواخر السبعينيات من القرن الماضي إذ حاول النقد النسوي أن يحدد المصطلحات ومجال اشتغالها، فهذه توريل موي Toril Moi تميز بين ثلاثة مصطلحات هي: (النسوية)و(الأنثى)و(المؤنث)، إذ ترى أن (النسوية) ما هي إلا قضية سياسية، و(الأنثى) مسألة بيولوجية محض، و(الأنوثة) على أنها مجموعة خواص محددة ثقافيا"[6].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يواجهنا هذا النص بثلاثة مصطلحات محددة الدلالة تصف كلها كتابة المرأة الكاتبة أولها مصطلح "المؤنث"، ويطلق عادة على كتابة المرأة الكاتبة التي اتسم أدبها بمحاكاة الأشكال الأدبية السائدة وتقاليدها المهيمنة، وهي الكتابات التي ظهرت في المراحل الأولى لظهور الكتابة النسائية، والتي كانت فيها المرأة لا تجرؤ على إظهار صوتها كامرأة متميزة عن الرجل واكتفت مستسلمة لإرادته بالاسترجال على نحو ما.

لم تكن أغلب الكاتبات- ولايزال البعض منهن - يجرؤن على التعريف بذواتهن الأنثوية في كتاباتهن، وكن تتماهين بما يكتبه الرجال، فالكاتبات العربيات الرائدات مثلا كن جميعا يكتبن " بقلم الرجل وبلغته وبعقليته، وكن ضيفات أنيقات على صالون اللغة.إنهن نساء استرجلن، وبذلك كان دورهن دورا عكسيا، إذ عززن قيم الفحولة في اللغة، وهذا هو عين ما حدث مع الشاعرات النساء في العصور الأولى منذ الخنساء حتى عائشة التيمورية"[7].

ولعل السبب الذي زاد من تضخم الفحولة لذا هؤلاء الكاتبات، الاعتقاد السائد في المجتمع الأبوي بأن الأنوثة هي جوهر المرأة، ثم راح هذا المجتمع يقولب هذا الجوهر من وجهة نظره ووفق مصلحته، بطريقة تجعله يحافظ على سلطته القيادية، فأضحت الأنوثة رديف الحياء والخضوع، والسلبية والدونية، وهكذا وضعت المرأة الكاتبة أمام خيارين أحلاهما مر، إما أن تكون سلبية أو لا تكون.وقد اختارت الكثير منهن الاسترجال حتى يحققن وجودهن .حيث ابتعدن عن ذواتهن الأنثوية المختلفة، وعمدت الكثير منهن إلى التمثل بالرجال والكتابة على طريقتهم واعتماد أسلوبهم، فكان إبداعهن مشوها، ويفتقد إلى الصدق في التعبير عن حقيقتهن.وبذلك وقعن في السلبية عينها.

فهذه مي زيادة تخاطب باحثة البادية مسلمة للرجال بفحولتهم التي استحقوها منذ الجاهلية، فتقول :" نحن في حاجة إلى نساء تتجلى فيهن عبقرية الرجال"[8].ويزيد هذا التماهي وضوحا ما أسرت به الكاتبة الجزائرية المعاصرة أحلام مستغانمي، من أنها وجدت التحدث بلسان الرجال يسهل عليها الكتابة ويساعد على السرد ويجعلها تقول ما تعجز عن قوله كأنثى"[9].وخلاصة للقول نري أن مصطلح (كتابة الأنثى) يشير إلى ما تكتبه الأنثى من وجهة نظرها، من دون أن يدل هذا المصطلح على طبيعة الكتابة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما "النسائية" فهو مصطلح يشير إلى حركة اجتماعية ثقافية، حاولت أن تعرف بنفسها على أساس أنها تمثل وعي المرأة لاضطهادها كأنثى ضعيفة وتابعة، مجسدة ثورة على اضطهادها كجنس ثان متدن تجاه الجنس الأول الذي هو الذكر.

ويطلق مصطلح "النسوية" على الأدب المتمرد على التقاليد والقيم الثقافية والاجتماعية التي كانت تقمع المرأة، وتسلب إرادتها وحقوقها، وقد ارتبط هذا المصطلح بظهور الحركات النسوية الاجتماعية والثقافية والسياسية التي تطالب بالمساواة مع الرجل، والتحرر من سلطته مما جعل تمظهرات التعبير عنها تدور حول مناهضة الذكورة المهيمنة على الأنوثة.

والنسوية بهذا المعنى خطاب تمردي يقوم على خلخلة الحطاب الذكوري، ويشكل خطرا على بنية المجتمع الأبوي، ويهدد سلطته بما يحدث فيه من فجوات، وبما يثيره من شك حول القيم الاجتماعية السائدة، ومنظوماته الفكرية والأدبية المتوارثة. والأدب النسوي بهذا المعنى أيضا لا يشترط في الخطاب أن يكون صاحبه امرأة، فقد "ينخرط الرجل في مشروع النسوية ويسهم في وضع لبنة من لبناته "[10].

مصطلح "الأدب النسوي"–إذن– يتصف بالعمومية، فهو حقل واسع يشمل ما تكتبه المرأة والرجل عن المرأة بوجه خاص، ويهتم ــ بوصفه خطابا مؤذلجا ــ بتصوير المرأة في حياتها اليومية والتعبير عن مطالبها ووعيها الفكري، ويصف معاناتها في المجتمع الأبوي، ومشاكلها النفسية الناتجة عن صراعاتها مع الآخر والمجتمع من أجل تحقيق ذاتها. إنه الأدب الذي يعكس نظرة المرأة لذاتها ولذات الرجل ولعلاقتهما معا، ويكشف عن الآلية التي يعمل بها المجتمع على ترسيخ الاضطهاد الجنسي، وازدواجية المعايير الحاكمة لحياة الجنسين.وخلاصة القول أن الأدب النسوي لا يأخذ موقفا من النظام الأبوي وضد التمييز الجنسي فحسب، وإنما هي فكر تعمد إلى إبراز صوت المرأة وإلى تأكيد اختلافها عن القوالب التقليدية التي وضعت فيها، وتنخرط في الحركة النسائية الهادفة إلى النضال من أجل تحسين وضع المرأة في المجتمع، ولا يشترط فيه أن يكون كاتبه امرأة.

والظاهر أن كل ما يتصل بالأنثى في الثقافة العربية يواجه بحساسية مفرطة، ويظهر ذلك في الجدل الذي دار حول هذا المصطلح حيث نجد من بين الكاتبات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العربيات من حاولت التمييز الدلالي بين المصطلين (النسوي)، و(النسائي)، فقد أثارت الكاتبة الناقدة شيرين أبوالنجا هذا الإشكال بين المصطلحين في كتابها "نسوي أو نسائي" منذ العنوان، تطالب فيه بضرورة التمييز بين المصطلحين من منطلق رفضها تصنيف الإبداع الأدبي على أساس الهوية الجنسانية لمبدعه، وعليه فهي تميز بين (النسوي) الذي يشير إلى وعي فكري معرفي وبين (نسائي) الذي يشير إلى الجانب البيولوجي للمرأة، وعلى أساس هذا التحديد تفضل الكاتبة استخدام مصطلح "النص النسوي"الذي يعني عندها " النص القادر على تحويل الرؤية المعرفية والانطولوجية للمرأة إلى علاقات نصية، وهو النص المهموم بالأنثوي المسكوت عنه، الأنثوي الذي يشكل وجوده خلخلة للثقافة المهيمنة، وهو الأنثوي الكامن في فجوات هذه الثقافة، وأخيرا هو الأنثوي الذي يشغل الهامش"[11].

وهي بهذا التحديد إنما تلتقي مع مفهوم مصطلح أخر أكثر حداثة هو "الأدب الأنثوي"، الذي يشير إلى مرحلة اكتشاف الذات على حد تعبير توريل موي، بمعنى أن هذا المفهوم يطلق على الأدب الذي تكتبه المرأة، ولكن ليس كل امرأة، بل يطلق على الأدب الأنثوي الذي يدور حول اكتشاف الذات الأنثوية المتميز بيولوجيا ونفسيا وفكريا.هذا التحديد أساسي ومركزي لأنه الفيصل بين ما هو نسائي وما هو أنثوي، فالنسائي ليس بالضرورة أن يصدر عن المرأة، فكم من أديب كتب أدبا نسويا، في حين أن المقصود بالأدب الأنثوي أن الذهنية التي تشتغل على هذا الأدب ذهنية أنثوية.

وقد برز هذا المصطلح في كتابات الناقدات الفرنسيات المعاصرات أمثال لوسي إريجاري وهيلين سيكسوس وجوليا كريستيفا[12]، وهو ما يعكس موقفا أنثويا راديكاليا بالمقارنة مع موقف الحركة النسوية الحقوقية، إذ يفترض هذا الاتجاه وجود أنوثة جوهرية يمكن استحضارها والتمركز حولها باعتبارها قيمة للأنثى في مقابل الفحولة التي تشكل قيمة للذكور.

تتميز هذه الكتابات بالاحتفاء بالأنثى، والإعلاء من شأنها، ردا على خطاب ذكوري مهيمن على الوعي الجمعي لمجتمعات احترفت إقصاء المرأة وإلغاءها، وتسييجها بسياج الرغبة.نذكر في هذا الإطار إسهامات الناقدة الفرنسية هيلين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سيكسوس في كتاباتها المثيرة للجدل مثل "ضحكة الميدوزا" الذي تدعو فيه الكاتبات أن يصدرن في إبداعهن عن عقل نسوي شامل في فهم جسد المرأة، وذهنيتها في آن"[13].

والمثير في موقف هذه الناقدة ليس دعوتها كما سنبين لاحقا، وإنما المثير هو عنوان كتابها، ذلك أن "ميدوزا" يشير في الأساطير اليونانية، إلى امرأة كانت في البدأ بنتا جميلة ولأنها مارست الحب مع (بوسيدون) في معبد أثينا ما جعل أثينا تغضب، فحولتها إلى امرأة بشعة المظهر، كما حولت شعرها إلى ثعابين، فكان كل من وقعت عينه عليها من الرجل حولته إلى جماد، مما يعكس موقفا راديكاليا يعمل على إلغاء الآخر الذكر، ومجاوزة للنظام الاجتماعي المتمركز حول الذكورة.

ويتخذ مصطلح "الأنثوية" وفق هذا المفهوم معنى عنصريا، يرسخ ثنائية ضدية (ذكر/أنثى)، غايته تغذية العداوة بين الرجل والمرأة، إذ ترى هذه الكاتبة النسوية أن الكتابة الأنثوية لا تطلق على كل ما تكتبه المرأة، وإنما تطلق على أسلوب معين من أساليب الكتابة النسوية هو الأسلوب الذي يمكن به التحرر من طغيان المنطق الذكوري السائد، والقائم على الازدواجيات المتضادة، الذي يمثل الرجل العناصر الإيجابية كلها (الفعالية، المنطق، الفعل، الحضارة...إلح)، بينما تمثل المرأة ضدها (السلبية، اللامنطقية، القلب، الطبيعة...إلخ)[14].

والواضح من نص الناقدة هيلين أن الأنثوية تشير إلى الكتابة التي تتخذ من جسد المرأة منهلا ثرا تنهل منه، وتجد في مكانها في الغائب والناقص والمقموع، ويشكل مع إيقاعات جسد المرأة الذي ينتفض ضد كل محاولات قمعه وتهميشه.

ويشير مصطلح "الأنثوية" إلى مفهوم شائع في النقد النسوي الغربي، هو تمركز الكتابة الأنثوية حول جسد الأنثى ومحاولة اكتشافه في ردة فعل لرؤية ذكورية متسلطة ومهيمنة لا ترى في المرأة إلا جسدا يشتهى، أو أنه كائن رديف للنقص والخطيئة، وقد تجلت هذه الصورة في النصوص الأدبية الذكورية المتوارثة موضوعا للكتابة ومفعولا به وليس ذاتا فاعلا.

والغريب أننا نجد مثل هذا الموقف الصادم للإناث والذكور معا في كتابات المرأة العربية المسلمة، فقد قرأت موقفا شبيها لموقف سيكسوس للروائية الجزائرية فضيلة الفاروق حيث جاء في أحد المقابلات الصحفية قولها "ربما كتبت بعض الكاتبات ليثبتن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنهن جريئات ولكنني كتبت وأنا ناقمة على الرجل لأقول له بكل صراحة: أيها الحقير أنت لا شيء...أريد أن أرى جيلا من الرجال مذلولين مثلنا يطالبون بحقوقهم"[15].اعتقد جازما أن المرأة تمتلك القدرة على إيذاء الرجل و إذلاله سواء كان أبا أو ابنا أو أخا أو زوجا، وهنيئا لهذه الأنثى فقد تحقق رجاؤها في عصرنا هذا بفعل سلوكات بعض الإناث فانعكس ذلك ذلا وخزيا على ذويهم من الرجال.

وقد نتج عن هذا النوع من الكتابة المتمركزة حول الجسد ما يسمى ب"كتابة الجسد" الذي أطلقته الناقدات النسويات الفرنسيات وبخاصة جوليا كريستيفا في كتابها "ثورة اللغة في الشعر الذي أصدرته عام 1974م، ومن ثم تحول الجسد في الثقافة الأنثوية الغربي إلى رمز للتعبير عن وعي المرأة بذاتها ورغبتها في الاستقلال ومقاومة سلطات القهر الذكوري عبر التاريخ[16].

وعليه فإن الفرق الجوهري بين مصطلح الكتابة النسوية ومصطلح الكتابة الأنثوية أن المصطلح الأول يشير إلى خطاب مؤدلج، و إلى موقف رافض لأبوية الرجل ووصايته على المرأة، كما يشير إلى رفض التمييز الجنسي، والنظرة الدونية للمرأة، في حين أن المصطلح الثاني "الكتابة الأنثوية" هو الخطاب الذي تكتبه المرأة، وتتخذ من أنوثتها مركز كتاباتها باعتبارها المميز الأساس لهويتها.

**تعدد المواقف من المصطلح في النقد العربي المعاصر**

لقد جاء استخدام المصطلح الدال على كتابة المرأة الكاتبة في الأدب والنقد العربيين في مرحلة متأخرة نسبيا بالمقارنة مع ظهوره في الثقافة الغربية، الأمر الذي أثر على عملية استيعاب المصطلح ودلالته، وأسسه النظرية والمنهجية في النقد العربي كما سنبين لاحقا.

ولقد تباينت مواقف الأديبات العربيات في التعاطي مع مختلف المصطلحات الدالة على كتابة المرأة الكاتبة قبولا ورفضا، كما واجهن إشكالا متعلقا بالمفاضلة بين مصطلحي "الكتابة النسوية" و"الكتابة الأنثوية" حيث رأت بعض الأديبات أن مصطلح "النسوي" هو المصطلح الذي ينبغي تداوله في توصيف كتابة المرأة العربية، في حين أن أخريات فضلن استخدام مصطلح "الأنثوي" من منطلق أن "النسوية" باعتبارها حركة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سياسية حقوقية بالدرجة الأولى قد تجاوزها الزمن، في حين أن "الأنثوية" تمثل قيمة مضافة تقابل "الفحولة" كقيمة راسخة في ثقافة المجتمع الذكوري السائد.

قبل عرض الموقفين المختلفين لابد من الإشارة إلى موقف ثالث يرفض كلية تمييز كتابة المرأة عن كتابة الرجل على أساس الهوية الجنسانية لمنتج النص، من منطلق أن الكتابة إبداع والإبداع نتاج إنساني كتبه رجل أو امرأة.

نشرت إحدى الكاتبات الكويتيات[17] مقالا تستهجن فيه استخدام مصطلحات تصف كتابة المرأة الكاتبة تمييزا لها عن كتابة الرجال على أساس جنس الكاتب، وحاولت أن تبرهن على تداعي هذا التمييز بتقديم دراسة تطبيقية لمجموعة من الأعمال الروائية لكتاب وكاتبات عرب.

تبدأ الكاتبة مقالها باستعراض بعض المواقف لأدباء كبار على حد قولها يقللون من قيمة المرأة، ويذكرون ضعفها وسلبيتها، وترى أن هذه المواقف والأحكام قد أثرت على المرأة المثقفة، بحيث أصبحت هي نفسها تستعير صورتها من ملف الرجل، وتلقي بمقولات تدين بها نفسها.وتنتهي إلى حكم عام فتقول" إن الكثير من أدبائنا العرب ورجالنا العرب وبنسبة 99% يقولون عن أي منتج فني أدبي للمرأة بما يبخس الحقيقة ثمنها"[18].

وبغض النظر عن النسبة المئوية المبالغ فيها، ألا يستدعي هذا الموقف مشروعية تمييز الأدب الأنثوي الذي يحاول مواجهة هذا الأدب الفحولي المتعالي، والتأسيس لكتابة موازية تعبر عن حقيقة المرأة ونظرتها للحياة والانسان والكون، وتعبر فيه عن قدرتها على استرجاع صفة التأنيث للغة بعد أن سيطر الذكور على مقاليدها ردحا من الزمن. ألم تعترف هي نفسها بأن بعض المثقفات يرددن مقولات الذكور التي تدينهن، ألا يستدعي هذا ضرورة ظهور كتابة أنثوية متحررة من تسلط الرجال وهيمنتهم من جهة، ومناهضة للاسترجال من جهة أخرى.

وتحتج صاحبة المقال لموقفها الرافض لتمييز كتابات المرأة بأن أهم ما يميز الإبداع الأدبي أنه إنساني بغض النظر عن جنس مبدعه كان ذكرا أم أنثى، وإذا ما كان ثمة خلاف فإنما يعود إلى اختلاف كل فرد عن أخر بغض النظر عن جنسه[19].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نرى أن الاعتراف بالفروقات الفردية التي تأتي بمعطيات وتجارب تمايز بين الأفراد، فالأولى الاعتراف بوجود فروقات أعمق بين الذكر والأنثى، فالتفرد والتميز سمة من سمات عبقرية الإبداع، ولا تمييز في هذا بين رجل وامرأة، وهذا ما نريد من المرأة الكاتبة أن تجسده في فعل الكتابة من خلال امتلاك اللغة وتأنيثها لأنه-كما يقال- من يمتلك اللغة يمتلك السلطة، وقد سيطر الرجل على اللغة وطوعها بما يخدم مصلحته وهيمنته، وبالتالي "فهل تستطيع المرأة الكاتبة أن تسجل من خلال إبداعها اختلافا أنثويا إيجابيا يضيف إلى اللغة والثقافة بعدا إنسانيا جديدا، ويجعل من التعبير اللغوي تعبيرا ذا جسد طبيعي يجعل من الأنوثة معادلا إبداعيا يوازي الفحولة ولا يقل بكون الأنوثة فحولة ناقصة"[20].

أما الاحتجاج بأن الأدب نتاج إنساني بالدرجة الأولى، فإنني أكرر ما قاله عبد الله الغذامي من أن " ثقافة المجتمع تطرح مصطلح (إنساني) و(إنسانية) على أنها ذات دلالة شمولية يتساوى فيها المذكر والمؤنث غير أن الفحص التشريحي لدلالة (إنساني) يكشف عن أن كل ما هو إنساني في الثقافة هو في حقيقته ذكوري.وكيف يكون هناك دلالة متساوية بين التأنيث والتذكير في مصطلح (إنساني) مع أن الرجل هو الذي سيطر تاريخيا على اللغة كتابة وقراءة، وصاغ الثقافة على مثاله وبناها على نموذجه"[21].

وتقدم الكاتبة الكويتية دراسة تطبيقية سريعة ومختصرة على عشر روايات لخمسة روائيين وروائيات عرب بغرض الكشف عن صورة نموذجية للرجل تتكرر في كل الأعمال، وهي صورة الرجل المتجبر المتعنت المخدوم والمتودد إليه من قبل المرأة، في مقابل صورة الأنثى الضعيفة المذعنة لنزوات الذكر ورغباته.وتخلص إلى أن هذه الصورة " لا تعبر عن واقع موضوعي، إنها صورة مرسومة سلفا في وجدان الإنسان العربي صيغت نقاطها بإصرار شديد من خلال رجولية سيدت بالقوة العضلية منذ بدأ نشأتها في سالف العصور القديمة، ومازالت آثار كبيرة منها تسيطر على ذهن المرأة العربية على الرغم من قطعها شأوا بعيدا في مضمار التقدم الحضاري"[22].

لاشك في أن هذه النتيجة التي خلصت إليها الكاتبة هي حجة عليها، وسبب آخر قوي لضرورة وجود كتابة أنثوية مختلفة شكلا ومضمونا عن هذا الأدب الفحولي الذي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

استطاع أن يطوع اللغة لخدمة هيمنته على الأنثى، ليدفع بها كرها أو طوعا للاسترجال من خلال تبني لغة الذكر ورؤاه.

وترفض الناقدة يمنى العيد التمييز بين النوعين، فرغم إقرارها بأن إسهام المرأة في الإنتاج الأدبي هو وسيلة من وسائل تحررها وغناء وعيها، وتعميق تجربتها في الحياة، وإقامة علاقة جمالية مع الواقع، فإنها ترفض من هذه الخصوصية لأنها تعوق إسهامها في ميادين الإنتاج الاجتماعي، والتي منها الأدب[23].

وتلتقي الكاتبة المغربية خناثة بنونة مع يمنى العيد في نفي المبررات التي أوجدت هذه المصطلحات التي تصنف الأدب الإنساني إلى رجالي ونسائي، وتعتبر أن هذه التصنيفات عابرة، إذا كانت المرأة تمتلك الجدارة الفكرية والاجتماعية[24].

الواقع أن الذكوري أو الأنثوي، الرجالي أو النسائي مصطلحات لا تتضمن في ذاتها أية دلالات تفضيلية، كما أن من الواضح للجميع أن التفوق في مجال الفنون بعامة والأدب بخاصة إنما هو للفرادة في الإبداع بغض النظر عن جنس المبدع كان ذكرا أم أنثى، باعتبار أن هوية الأدب هي الإبداع، غير أن الفروق البيولوجية والنفسية الموضوعية بين الرجل والمرأة ستنعكس لا محالة في إبداعهما فتلون نتاجهما الأدبي بلونهما لأن استخدام اللغة والأسلوب ليستا حياديتين.

أما الأديبات العربيات الداعيات إلى تمييز كتابة المرأة الكاتبة عن كتابة الرجال فالإشكال بينهن يدور حول المفهوم الواصف لهذه الكتابة، حيث نجد من بينهن من ترفض مصطلح "الكتابة الأنثوية" من منطلق أن "الأنوثة" كمفهوم ترسخ في ثقافة المجتمع الذكوري ليدل على ما تقوم به الأنثى، وما تتصف به، وتنضبط إليه، وما لسق بها من صفات الضعف، والرقة، والاستسلام، والسلبية[25].

و تفضل الناقدة العراقية نازك الأعرجي -أيضا- مصطلح "الكتابة النسوية" بحجة أن هذا المصطلح يقدم المرأة والإطار- المحيط بها- المادي والبشري والعرفي والاعتباري...الخ في حالة حركة وجدل[26].غير أن الكاتبة تنطلق في اختيارها مصطلح "الكتابة النسوية" بدلا من مصطلح (الكتابة الأنثوية) من حساسية اجتماعية ثقافية، وليس من منطلق لغوي معرفي مما كان له أثره السلبي في ضبط المصطلح، وضياع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحدود بين المفهومين:الأنثوي والنسوي، حيث نجدها تجمع بين المصطلحين في عنوان كتابها (صوت الأنثى:دراسات في الكتابة النسوية العربية).

من الكاتبات العربيات من كانت تفضل مصطلح "الكتابة الأنثوية"، وترى فيه دقة وتميز في الدلالة على إبداع مختلف عن الأدب الفحولي السائد، ومن بين هؤلاء أذكر الكاتبة العراقية زهرة الجلاصي التي تستخدم "الأنثوي" بدلا من "النسوي"، مع تحديد المفهوم الدلالي للمصطلح، حيث ترى أن النص الأنثوي " يعرف نفسه استنادا إلى آليات الاختلاف، لا الميز، هو في غنى عن المقابلة التقليدية (مؤنث/مذكر) بكل محمولاتها الأيديولوجية الصدامية، التي صارت اليوم تستفز الجميع.النص المؤنث ليس "النص النسائي"، ففي مصطلح "نسائي" معنى التخصيص الموحي بالحصر والانغلاق في دائرة جنس النساء بينما ينزع "المؤنث" الذي نتراضى عليه إلى الاشتغال في مجال أرحب مما يخول تجاوز عقبة الفعل الاعتباطي في تصنيف الإبداع احتكاما لعوامل خارجية على غرار جنس المبدع"[27].

الملاحظ أن الجلاصي تقدم مفهوما للأنثوي يختلف تماما عن مفهومه في النقد الغربي فهي تعتقد أن الأدب الأنثوي هو الأدب الذي يدور حول الأنثى سواء كتبه الرجل أو المرأة، وأن الأدب النسوي هو الذي تكتبه المرأة فقط، وهو العكس تماما في النقد النسوي الغربي كما بينا ذلك سابقا.

وتؤكد الروائية الجزائرية فضيلة الفاروق، على تميز الكتابة الأنثوية عن الكتابة الذكورية حيث تقول في أحد حواراتها " أقول دون خوف إن النص النسائي فيه بصمات الأنثى شاءت أم أبت، حتى الرجال الذين كتبوا بصوت الأنثى ظلموا المرأة في بعض الأمور لأنهم عبروا بذكورتهم عن مواجع الأنثى، واستخفوا بمتاعبها النفسية، النابعة من تهميشها كونها أنثى، وعلى هذا الأساس أستطيع أن أعرف بصمات الأنثى إن كان النص كاملا"[28].وعليه فلا يطلق وصف "النص الأنثوي" إلا على ما تكتبه الأنثى دون الرجل.

وعن سؤال ما إذا كانت الأنوثة (هوية) يمكن أن تنعكس في النص الأدبي تجيب:"من جماليات الكتابة أنها تجعلنا نتساوى مع الرجال، ولكن هذا لا يعني أن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النص يفقد هويته إن كتبه رجل أو امرأة...بسهولة ننكشف حين نكتب، وبسهولة ينكشف الرجل حين يكتب"[29].

وإذا كانت فضيلة الفاروق تميز بين الكتابة الأنثوية والكتابة الذكورية بوجود بصمات نصية تميزهما، فإنها حصرت تلك البصمات في قضايا المضمون " جراحنا تطفوا إلى السطح بفعل الكتابة ولا تختفي، قضايانا تطفوا ولا تختفي، مشاكلنا تطفوا ولا تختفي"[30]، فالملاحظ أنها حصرت هذا التميز بين ما يكتبه الرجل وما تكتبه الأنثى في كيفية عرض هذه القضايا، وهو ما يعني أنها تحصر الاختلاف في الذهنية التي يصدر عنها الرجل والمرأة جميعا.

والملاحظ أيضا أن الكثير من الكاتبات العربيات يؤكدن على ضرورة إحساسهن بالحرية، وعدم خضوعهن لأية رقابة خارجية أثناء الكتابة، حتى يقدمن إبداعا أنثويا متميزا، فهذه فضيلة الفاروق تقول باعتزاز:" أنا أكتب من منطلق أني حرة لا أقل ولا أكثر"[31].وتذهب الكاتبة اللبنانية ليلى الأطرش المذهب نفسه حيث تقول:" لا رقيب داخلي يقيدني ولا أخشى أية رقابة أخري حين أكتب"[32].

لاشك أن هذا الإحساس بالحرية والانفلات من رقابة الآخر يصدر عن إدراك واع بالذات الأنثوية، والإيمان بتميز هذه الذات عن الذات الذكورية، باعتبار أن الأنوثة تشكل قيمة تساوي أو توازي قيمة الفحولة عند الذكور.وقد ترجم هذا الوعي عند الكثير منهن في تمركز كتاباتهن حول الجسد الأنثوي، في محاولة للتأسيس للذاكرة الأنثوية خارج دائرة الخوف والخجل من المجتمع الذكوري الذي يكبح عالمهن الداخلي، فلا تستطعن أن تعبرن بحرية وجرأة عن الجسد والعاطفة باعتبارهما خطوط حمراء على المرأة.

وقد عبرت الكثير من الكاتبات العربيات عن جرأتهن على تجاوز الخطوط الحمراء، و الخوض في المسكوت عنه، وما عده المجتمع الأبوي الذكوري من الطابوهات.فليلى الأطرش مثلا تعترف بهذه الجرأة صراحة حيث تقول:" ربما كنت جريئة بطبعي أقول ما يدور في ذهني أو التقطه من الواقع مهما كلفني الأمر خاصة ما يشكل محفزا للكتابة الروائية.لهذا لم أفكر في أنها مناطق خطرة أو أنني ألامس

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شريطا متفجرا عند رصدها لأنها إغواء حقيقي لكتابتها من خلال شخصيات وأحداث"[33].

ويمكن أن نذكر في هذا السياق الكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي التي لا تعترف بكل ما يمكن أن يفرمل قلمها حيث تقول بكل ثقة:" لا أدري ما معنى المسكوت عنه...لا أدري إن كنت مراوغة...أنا أكتب كما أفكر، كما أتكلم...ليس هناك استقرار قط في كتاباتي...لا وجود لحياء كاذب، أو إباحية فجة مؤذية"[34].

غير أن محاولة اكتشاف الجسد الأنثوي وتمحور الكتابة حوله ليست حالة جديدة طارئة على الإبداع، بل هي قديمة قدم الإبداع نفسه، لكن تسلطت الرؤية الذكورية على جوانب هذه الرؤية، وأخضعتها لقوانينها الظالمة حيث صورت لنا المرأة رديفا للنقص والخطيئة، وقدمتها الأعمال الأدبية موضوعا للكتابة وكيانا مفعولا به وليس كيانا فاعلا.

من أجل ذلك حضر الجسد الأنثوي في كتابات المرأة "ليندد بقهر الرجال للمرأة، وهذا أدى إلى التركيز على الكتابات الأنثوية، ووقفت المرأة في خطابها الأيديولوجي في مقابل الرجل، وصار الإبداع الأنثوي يراهن على كشف الممارسات التي تتم على جسد المرأة، أو فضح اختزال المرأة في جسد، أو هدم تكبيل جسد المرأة وتأثيمه في مقابل تلك الحرية الممنوحة للرجل ليعبر عما يشعر به ويريده من جسد المرأة"[35].

وبهذا أصبح رهان الرواية الأنثوية الأساسي هو جعل الجسد الأنثوي فاعلا راغبا، وليس مجرد مفعولا به، في محاولة لاستظهار سلطة الأنوثة على الفحولة وتصوير الفاعل(الذكر) في صورة المفعول به، والمفعول به (الأنثى) في صورة الفاعل، وهو ما نشعر به ونحسه ونحن نقرأ الكثير من أعمال الروائيات الجزائريات أمثال فضيلة الفاروق في رواياتها،(تاء الخجل)و(اكتشاف الشهوة)، وأحلام مستغانمي في ثلاثياتها.

غير أن خوض المرأة في هذا الموضوع وما صاحب ذلك من البوح بالحميميات وكشف المستور من الجسد، قد ووجه باستهجان كبير من قبل مجتمع أبوي ذكوري النزعة لا من منطلق أخلاقي ديني فهذه الموضوعات دارت حولها الكثير من أعمال الروائيين، وإنما من منطلق أن هذه الموضوعات رجالية بحتة ولا يجوز للمرأة الخوض فيها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحتى تبلغ الكاتبات الأنثويات غايتهن في التأسيس لكتابة مختلفة عن كتابة الرجل، ينبغي أن يتحول الجسد في كتابتهن من قيمة جنسية إلى قيمة ثقافية وجمالية، تساوي أو توازي الفحولة كقيمة ثقافية وجملية وذلك بالخروج من دائرة السلبية التي رسمت لها إلى خطاب أنثوي شجاع يتحول فيه الجسد من موضوع مفعول به إلى موضوع فاعل، له القدرة على تجاوز المنظومات التعبيرية الذكورية، وبناء منظومات تعبيرية جديدة تعيد للغة أنوثتها المغتصبة.

**الهوامش**

**1**- مفيد نجم، الكتابة النسوية، مجلة نزوى، العدد:42، نيسان 2005، نقلا عن فرجينيا وولف الثقافة العالمية، ع7، السنة الثانية، المجلد الثاني، نوفمبر 1982، المجلس الأعلى للفنون والآداب الكويت.

**2**- المرجع نفسه

**3**-المرجع السابق، نقلا عن سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية، ترجمة أحمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة 2002.

**4**- شيرين أبو النجا، نسائي أم نسوي، منشورات مكتبة الأسرة القاهرة2002 .ص: 9.

**5**- نازك الأعرجي، صوت الأنثى. دار الأهالي، دمشق سوريا 1997.ص: 198

**6**- توريل موي النسوية والأنثى والأنثوية، ترجمة كورنيليا خالد، مجلة الأدب الأجنبية.ع:79.اتحاد الكتاب العرب سوريا، 1993.ص:47

**7**- عبد الله الغذامي المرأة واللغة.المركز الثقافي العربي،بيروت،الدار البيضاء 1996. ص: 182

**8**- المرجع نفسه.ص:47.

**9**- مجلة (هي). عدد: 24.يوليو 1994. ص:30-32

**10**- نبال زيتون، الخطاب النسوي، الموقف الأدبي.السنة: 31, عدد365، أيلول 2001، اتحاد كتاب العرب دمشق سوريا، ص: 161

**11**- شيرين أبو النجا، نسوي أم نسائي،ص: 8-9.

**12**- سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية، ص: 323.

**13**_ كورنيليا حالد، المرأة العربية، الإبداع النسوي، النظريات النسوية.بحث مشارك في مؤتمر ملتقى الإبداع النسائي الأول(خصوصية الإبداع النسوي: قضية للنقاش)، المركز الثقافي الملكي عمان 23-26 آب 1997.ص: 7

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

14- المرجع نفسه.

15- حبيب بوهرور، تثوير المحضور في الرواية العربية المعاصرة.مجلة عمان.ع:154، نيسان 2008. ص:74

16-المرجع نفسه،ص:73

17- طيبة أحمد إبراهيم، مقال "تطابق الصور في متوازي الأعمال الروائية للمرأة والرجل، مجلة عالم الفكر المجلد 32، أكتوبر ديسمبر 2003، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت،ص:225-273.

18- المرجع نفسه.ص:226.

19-المرجع نفسه.ص:226-228.

20- عبد الله الغدامي، المرأة واللغة،ص:10.

21- المرجع نفسه.ص:50.

22- طيبة أحمد إبراهيم، تطابق الصور في متوازي الأعمال الروائية للمرأة والرجل، ص:226.

23- يمنى العيد، مساهمة المرأة في الإنتاج الأدبي، مجلة الطريق، ع4، أبريل 1975

24- بول شاوول، حوار مع حناثة بنونة، مجلة علامات في الثقافة العربية،.المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، 1979. ص:53

25- نازك الأعرجي، صوت الأنثى،ص:26-31.

26- المرجع نفسه، ص:35.

27- زهرة الجلاصي، النص المؤنث.دار سارس تونس 2002.ص: 11

28- حوار مع الروائية فضيلة الفاروق، مجلة عمان، ع: 149، تشرين الثاني 2007، ص: 33.

29-المرجع نفسه.ص: 30

30- المرجع نفسه.ص: 33.

31- المرجع نفسه.ص: 30.

32- حوار مع الروائبة ليلى الاطرش، مجلة (عمان)، عدد: 125. تشرين الثاني 2005. ص: 29.

33- المرجع نفسه.

34- حوار مع الروائية أحلام مستغانمي، مجلة عمان، عدد:121.تموز 2005، ص:27،

35- حبيب بوهرور، تثوير المحظور في الرواية النثوية العربية المعاصرة، مجلة عمان، ع:154، نيسان 200

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com